

عن خصوص امتثال الاوامر واجتناب النواهي حتى تكون عملا جارحياً ، وإنّما هي معنى فى القلب يرجع فى جملته إلى تقدير العظمة الالهية، وامتلاء النفس بها امتلاءً يدفع المؤمن إلى المسارعة، وشدة الحرص والاحسان فى تحقيق أوامر الله وتشريعاته، ويدفع به فى الوقت نفسه إلى انعام النظر وقوة التفكير فى ملكوت السموات والأرض لمعرفة أسرار الله فى كونه، وسننه فى خلقه، ثم الاتجاه إلى هذه الاسرار، والعمل على اطهار رحمة الله فيها بعبادة، والوقوف على السنن التى ربط بها بين الاسباب والمسببات، بين السعادة وأسبابها، والشقاء وأسبابه بين العلم وأسبابه، والغنى وأسبابه، والعزة وأسبابها... وهكذا إلى آخر ما تمليه على العاقل المفكر هذه السنن الثابتة التى لا تتغير ولا تتبدل، والتى لا سعادة للانسان الا بتقديرها والعمل بمقتضاها. اذن ليست التقوى إمتثال الاوامر، واجتناب النواهي، إنّما هي ذلك المعنى القلبي الذي تفنى به الارادات الإنسانية فى ملكوت العظمة الالهية، وهى الباعث على امتثال الاوامر، واجتناب النواهي، وهى المحققة للاحسان فى طاعة الله ورسوله، فهى المبدأ وهى المنتهى، وهى الاولى وهى الآخرة.

ولعلنا - لو تتبعنا مواقع التقوى فى القرآن الكريم - نقف فى معناها على أسرار لا تفى الاقلام بتدوينها، فلندع هذا الباب، وقد ثقبنا منه نافذة صغيرة ينفذ منها شعاع على القلب المستعد للتقوى فيدرك معناها، ويستشعر لذتها، ويقف ثملا بعظمة الله كلما سمع قوله تعالى ((ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)) ولنرجع إلى النداء.

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)). وحسب القارئ منا فى الكلام على التقوى ما أسلفناه وما أشرنا إليه.

الوسيلة والمراد منها فى هذه الآية:

أما الوسيلة، فقد قال الراغب: الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة، وهى أخص من الوسيلة لتضمها معنى الرغبة. قال تعالى ((و ابتغوا إليه الوسيلة)) وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى، مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة، وهى كالقربة... انتهى)).